**محاضرات الأنثروبولوجيا الاقتصادية**

**المستوى: السنة الأولى ماسترعلم الاجتماع التنظيم والعمل**

**العام الدراسي: 2025/2024.**

**دريس نوري.**

**يتضمن هذا الملف مجموعة من المحاضرات في مقياس الأنثروبولوجيا الاقتصادية موجه لطلبة السنة الأولى ماستر، تنظيم و عمل.**

## المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي

الأنثروبولوجيا هي فرع معرفي من فروع العلوم الإنسانية، وتهتم بدراسة الإنسان في بيئته الطبيعية و الاجتماعية، و كيف ينتج ذلك انماطا ثقافية و سلوكية. و قد مرت بعدة مراحل أثناء تطورها،إ بدأت كعلم طبيعي يدرس فيزيولوجية الإنسان ثم تحولت تدريجيا إلى علم اجتماعي يدرس الخصائص التي تميز جماعة اجتماعية عن أخرى.

## 1- موضوع الأنثروبولوجيا

بغض النظر عن المواضيع التقليدية التي كانت تهتم بها، فإن الأنثروبولوجيا كفرع من العلوم الاجتماعية موضوعها هو الإنسان والمجتمع

إنها تدرس علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي و الثقافي و الجغرافي، و كيف تتأثر عاداته و تتكيف ثقافته مع محيطه الاجتماعي و الجغرافي، أي أنها تدرس الثقافة بمعناها الواسع

الـذي قـدمـه ادوارد تـايلور: مجموع العـادات المكتسـبـة من طرف لإنسـان داخـل بيئتـه الاجتماعية.

و من هنـا بـدأت فـروع الأنثروبولـوجيـا الاجتمـاعيـة و الثقـافيـة في التـطور على غـرار الأنثروبولوجيا الاقتصادية، السياسية، الاقتصادية

فالثقافة تشمل كل الأنشطة البشرية وأنماط العيش و أنماط السلوك.

2- المنهج الأنثروبولوجي : تعتمد الأنثروبولوجيا على مناهج العلوم الاجتماعية و الإنسـانية، و لكن أهمها هي:

- التحقيقات الاثنوجرافية
- الانغماس
- الملاحظة بالمشاركة

# المحاضرة الثانية: الأنثروبولوجيا الاقتصادية

هو أحد فروع الأنثربولوجيا، يعتمد على نفس المناهج البحثية لها. ولكن موضوعها الأساسي هو التحليل النظري المقارن للأنظمة الاقتصادية المختلفة. وللقيام بهذه المهمة العلمية فإنها تعتمد على المادة المعرفية التي يقدمها المؤرخون، الاثنوغرافيون، علماء الاجتماع...حول طريقة استغال و تطور المجتمعات الإنسانية

تطرح الأنثروبولجيا الاقتصادية نفسها كامتداد للاقتصاد السياسي نحو المجتمعات التي أهملتها العلوم الاقتصادية، تماما كما تطرح الأنثربولوجيا السياسية نفسها كامتداد نحو المجتمعات التي لا تغطيها العلوم السياسية.

إنها تهدف نحو بناء نظرية عامة حول مختلف الأشكال التي يأخذها النشاط الاقتصادي للإنسان، أي الاقتصاي l'economique في أبعاده ووضعياته التاريخية المختلفة.

إذا كانت العلوم الاقتصادية والاقتصاد السياسي يغطيان معرفيا المجتمعات الرأسمالية الصناعية، فإن الأنثروبولوجيا الاقتصادية ستحاول أن تحلل وتفهم تلك المجتمعات التي لا يزال فيها النشاط الاقتصادي غير رأس مالي/ ما قبل رأسمالي.

والغاية هنا هي فهم النشاط الاقتصادي للإنسان في مختلف السياقات التاريخية و الطبيعية و الجغرافية

إن الاقتصاد السياسي والعلوم الاقتصادية بشكل عام هي علوم ظهرت مع المجتمع الرأسمالي الذي يتميز بدرجة عالية من التمايز الاجتماعي أو بدرجة متقدمة من تمايز الحقول الاجتماعية بتعبير بيار بورديو

أي أن هذان العلمان ظهرا و تطورا بشكل يستجيب لتطور و نضج و استقلالية الحقل الاقتصادي، و بالتالي كحاجة لدراسة هذا الحقل.

## 2- ماذا يعني استقلالية الحقل الاقتصادي.

أولا يجب أن نوضح ما ذا نعني بالاقتصادي ( l'economique).

الاقتصادي هو كل نشاط انساني يهدف إلى الإنتاج و تحقيق الأرباح، عبر آليات مختلفة حسب السياق الاجتماعي و التاريخي للمجتمع أو الجماعة الاجتماعية

و مساحة الاقتصادي داخل المجتمع تختلف من مجتمع إلى آخر حسب درجة تعقده.

إنه مهيكل داخل الاجتماعي في المجتمعات التقليدية ويهيكل المجتمع في المجتمعات الحديثة

وبالتالي يمكن القول إن المجتمعات الإنسانية تنقسم إلى:

- مجتمعات حيث الاقتصادي مستقل كحقل قائم بذاته
- ومجتمع حيث الاقتصادي لا يزال يسكن داخل البنى الاجتماعية المختلفة.

يقدم علم الاجتماع تعريف مبسطا للاقتصادي وتحديدا عند تالكوت بارسنز الذي حاول بناء نظرية عامة في السوسيولوجيا

يقول بارسنز أن الاقتصادي هو مجموع العلاقات التي تنشأ بين الوحدات الاجتماعية المتفاعلة بين بعضها البعض وتؤدي إلى تحديد الأسعار، وكميات وأنماط الإنتاج

يقوم الاهتمام السوسيولوجي بالاقتصادي على افتراض أن النظام الاقتصادي يستمد خصائصه من الوضعية والمكانة التي يشغلها داخل النظام الاجتماعي.

بالنسبة لكارل ماركس، الاقتصادي هو الذي يحدد البناء الفوقي للمجتمع، ففي فلسفته المادية التاريخية يعتبر ماركس الاقتصاد (أنماط الإنتاج) الأساس الفعلي للافكار و الأيديولوجيا

إن الاقتصاد السياسي منذ آدم سميث تم بناءه لدراسة النشاط الاقتصادي و النظم الاقتصادية الخاضعة للعقلانية الرأسمالية التي ظهرت في أوروبا بداية القرن السابع عشر

و لكن هذه العقلانية لا تزال لم تخترق الكثير من المجتمعات الإنسانية إلى حد الآن، و التي يهيمن عليها أنظمة أقتصادية غير رأسمالية

**3- افتراضات الاقتصاد السياسي**

**يدعي الاقتصاد السياسي الكلاسيكي أن السروراء ازدهار الأمم هو العمل و ليس الريع، أي ليس الملكية الاقطاعية. الريع بالنسبة لريكادرو( دفيد ريكادرو) هو " ربح غير شرعي"،**

**ماذا يعني هذا بالنسبة للنظرية الاقصادية؟**

**إنه يعني ضرورة تحطيم البناء الاقنصادي القديم لأنه قائم على قواعد غير شرعية، غير أخلاقية و معيقة للإنتاج و تراكم الثروة و ازدهار المجتمع، و لا يسمح إلا لفئة قليلة من الملاك بالهيمنة على الثروة في المجتمع**

**النظام الاقطاعي بالنسبة للاقتصاد السياسي الكلاسيكي عند ريكادرو و سميث يضع السلطة السياسية أو جزء منها الآلية الوحيدة التي تمكن الأفراد من " جمع الثروة " و هذا ما يؤدي إلى همينة عقلانية غير إنتاجية**

**عقلانية النظام الاقطاعي ما قبل الرأسمالي بشكل عام تقوم أساسا إلى دفع الفرد إلى تسخير طبائعه و غرائزه لأجل الوضول إلى السلطة و الحفاظ عليها لأنها المكان الوحيد لمراكمة الثروات**

**أي**

**على الإنسان أن يخرج أسوء ما فيه ليشبع حاجياته و غرائزه**

**كانت النظرية التعاقدية بمثابة مقدمة لنقد أساس النظام الاقطاعي أو على الأقل تجاوز آثاره المدمرة على المجتمعات الأوروبية آنذاك. لكن الأسس التي قامت عليها نظرية العقد الاجتماعي بنسختها الهوبزية أو اللوكية( نسبة لجون لوك) أعادت إنتاج نفس المنطق الذي كانت تحاول تدميرهن أي التي جاءت أساسا لتدميره.**

إن الليفيتان( الدولة المطلقة بلغة هوبز) الذي كان من المفروض أن يساهم في القضاء على الفوضى السياسية و الاجتماعية التي تسبب فيها النظام الاقطاعي بشكل مباشر أو غير مباشر، تحول لاحقا إلى طرف في المشكلة أو ربما إلى طرفا رئيسيا، و هذا بسبب منعه من استقلالية الحقل الاقتصادي ( سنعود إليه لاحقا)

قامت النظرية التعاقية(هوبز، جون لوك، روسو) على تصور حل سياسي للمشكلات الاقتصادية و الاجتماعية التي كانت تواجهها أوروبا ما قبل الرأسمالية، و جعلت من الدولة الخير الأكبر الذي تجد فيه كل هذه المشكلات حل لها، بما في ذلك المشكلات الاقتصادية.

في آثناء ذلك كان العالم الحديث يتطور بسرعة شيئا فشيئا نحو نمط انتاج جديد يقوم على كثافة التبادلات التجارية في مرحلة أولى، ثم التصنيع و حرية المبادرة الاقتصادية في مرحلة ثانية.

هذه الديناميكية الجديدة كانت في حاجة إلى أيديولوجية جديدة تضفي عليها شرعية أخلاقية و علمية و سياسية، و تساعدها في فرض نفسها أمام النظام الاقطاعي القائم.

4- صعود الفكر الليبرالي

في هذا السياق بدأ الفكر الليبرالي يزدهر. في الواقع كانت الإصلاحات الدينية التي فتحت الباب أمام الليبرالية منذ مدة، من خلال المذهب البروتستانتي الذي إذا ما نظرنا إليه بأثر رجعي اليوم، يمكن القول أنه مصاغ على مقاس البورجوازية.

إن بداية تقديس الحريات الفردية و تحريرها من التحريم الكاثوليكي قد انطلقت منذ لوثر في المجال الديني، لكن سرعان ما توسع مجالها إلى خارج اللاهوت، أي إلى السياسة و الاقتصاد بشكل خاص.

وجدت الليبرالية في فكر دفيد هيوم أول ارهاصاتها، و مع آدم سميث يمكن القول إنها اكتملت و أصبحت تحظى بشرعية فلسفية، أخلاقية، علمية و اقتصادية. إذ سيجعل سميث من السوق فضاء تحل فيه التناقضات الأنثربولوجية للإنسان، أي الحل لمشكلة الصراع بين الخير و الشر.

## 5- السوق يتوافق مع الأنثروبولوجيا الإنسانية( الفطرة الإنسانية)

طرحت فلسفة هوبز إشكالية أنثربولوجية هي: كيف يمكن التعامل مع الطبيعة الجشعة للإنسان؟

تقترح فلسفة العقد الاجتماعي حلال تعاقديا لمواجهة هذه الفطرة الأنثروبولجية الشريرة: سلطة مطلقة تحد من حريات الإنسان للجم الجشع، يتنازل بموجبها الأفراد عن حرياتهم لصالح الليفيتنان.

بنى آدم سميث فلسفته النفعية كلها على مفهوم رئيسي هو السوق.

قبل التفصيل في أنثربولوجية سميث الاقتصادية، يجب أولا أن نعود لشرح مفهوم استقلالية الحقل الاقتصادي، باعتباره الموضوع الذي نشأت حوله النظرية الليبرالية.

## 6- في معنى استقلالية الاقتصادي

إن ما يميز المجتمع الحديث عن المجتمع التقليدي هو درجة تمايز الحقول الاجتماعية عن بعضها البعض

المجتمع كمفهوم سوسيولوجي ظهر على اثر التحولات التي أحدثتها الثورة الصناعية تحديدا من خلال تقسيم العمل الاجتماعي الذي حطم بدوره أشكال التضامن التقليدية، و أشكال السلطة التقليدية، ليفسح المجال لظهور أنماط تضامن اجتماعي جديدة تقوم على تقسيم العمل بين الأفراد بشكل عضوي( من التضامن الآلي= إلى التضامن العضوي بتعبير دروكهايم ) أشكال سلطة جديدة( من سلطة كاريزامتية مشخصنة إلى سلطة بيروقراطية ممأسسة بتعبير ماكس فيبر) و من سلطة لا قهرية إلى سلطة قهرية بتعبير بيار كلاستر.

سمحت الثورة الصناعية بتحرر النشاط الاقتصادي من كل الإلتزامات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و حتى الأخلاقية. و أصبح يشتغل وفقل لمنطقه الخاص به. حاول الاقتصاد السياسي أن يفهمه و يصيغه على شكل نظريات و معادلات رياضية. ليس علماء الاقتصاد من اخترع الاقتصاد، و لكن تبلور الحقل الاقتصادي كحقل مستقل بذاته، و يشتغل وفقلا لقوانين خاصة به هو الذي أدى إلى تطور علم يختص بدراسته وهو الاقتصاد

السياسي الذي صاغ آدم سميث مبادئه الأساسية في كتابه الشهير بحث في ثورة الأمم( 1776).

و بهذا تصبح العلوم الاقتصادية و الاقتصاد السياسية بشكل خاص علوم مصممة لدراسة حقل اقتصادي ناجز لا يخضع نسبيا لاملاءات و تدخلات السياسي و لا اكراهات أخلاقية أو اجتماعية.

ولكن مثلما هو معلوم، ليست كل المجتمعات الإنسانية على نفس الدرجة من التمايز الاجتماعي والتطور. وبالتالي، فإن النشاط الاقتصادي، و الذي هو نشاط إنساني، غير محتوى في نفس الحقل أو في نفس البنى في جميع المجتمعات الإنسانية، و من ثمة لا يمكن أن يكون موضوعا لنفس العلم في كل مكان.

في المجتمعات التي لا تزال تعرف درجة ضعيفة من التمايز الاجتماعي، لا يخضع النشاط الاقتصادي لنفس المنطق و نفس العقلانية السادة داخل المجتمعات الرأسمالية الليبرالية، و من هنا تظهر الحاجة إل استدعاء أدوات نظرية غير تلك التي صممت لدراسة النظام الاقتصادي الرأسمالي: أي الأنثروبولوجيا الاقتصادية.

## المحاضرة الثالثة: الأنثروبولوجيا الاقتصادية في فكر آدم سميث

هل فعلا يمكن اعتبار آدم سميث من أوائل الأنثربولوجيين الاقتصاديين؟

الإجابة حتما ستكون بنعم، ولكن مع التأكيد كذلك على أن سميث ليس فقط عالم اقتصاد ومنظر الليبرالية والرأسمالية الشهير، و لكن كذلك أحد أهم الذين وضعوا أسس الأنثروبولوجيا الاقتصادية كما الأنثروبولوجيا السياسية.

ما كان بالإمكان أن يحظى فكر آدم سميث بتلك الصدقية العالية لو لا الأسس الأنثروبولجية القوية و الصلبة التي أسس عليها فكره الاقتصادي.

تعتبر الليبرالية السياسية النظام السياسي الأكثر استجابة لأنثروبلوجيا و فطرة الإنسان بينما الرأسمالية تمثل الاستجابة الطبيعية لأفطرة الانسان الاقتصادية.

و لهذا نجد أنثربولوجية سميث تتكون من عنصرين أساسيين: الفرد المستقل و المصلحة، و مهما يشتق سميث ما يسميه بالإنسان الاقتصادي ( l'homo economicus) و الذي تحركه المصلحة.

إن اهتمامنا بآدم سميث كأنثروبولوجي اقتصادي نابع من التصورات الأنثروبولوجية التي يحتويها فكره بشكل معلن أو غير معلن، و أسس عليها نظريته الليبرالية.

و نقصد هنا بالأنثربولوجيا الاقتصادية في فكر آدم سميث تلك الصفات و الخصائص الفطرية التي يعتقد سميث أنها تميز البشر و تجعل من قيام النظام الليبرالي أمرا ممكنا، بل ضرورة أساسية ليضمن المجتمع ازدهاره.

### 2- أهم المفاهيم في أنثربولوجيا آدم سميث

أ- المصلحة: يعتبر المفهوم الأساسي في الفكر الليبرالي بشكل عام و الاقتصادي بشكل خاص. إنه ليس مجرد مفهوم اقتصادي، بل يتعدى في فكر سميث لأن يكون أحد أهم الخصائص الأنثروبولوجية للإنسان و الجماعة الاجتماعية.

بدل أن تصمم القوانين و المؤسسات لردع الطابع المصلحي و البراغماتي للإنسان و كبح سيه وراء مصالحه الشخصية، يقترح آدم سميث عكس ذلك، لأنه يرى أنه يستحيل على أية سلطة مهما كانت أن تغير من فطرة الإنسان .

إن ازدهار الأمم لا يمكن أن يمر حسب سميث، إلا عبر احترام مصالح الإنسان، و لهذا يجب على القوانين و المؤسسات أن تصمم لكي تمكن الإنسان من تحقيق غاياته إلى أقصى حد.

## ولكن ألا يهدد ذلك النظام الاجتماعي؟

## الإجابة عن هذا السؤال نجدها في مفهوم التعاطف.

**2- التعاطف( la sympathie):** لا يقل هذا المفهوم أهمية عن مفهوم المصلحة في فكر آدم سميث. بل إنه المفهوم المحوري الذي يعطي لفكر سميث ونظريته تجانسه ومقبوليته الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية، و يحل التناقضات الموجودة بين عناصرها.

مفهوم التعاطف هو أساس قيام العقلانية الاقتصادية أي أنه هو الآلية التي تقنن النظام المعياري ونظام الانتقاء والاختيار والانتقاء والاهتمامات.

وهو الذي يسمح بتنظيم الأفعال الاجتماعية المتناغمة ة تعظيم إلى أقصى حد ممكن السعادة الفردية. يقول سميث ن " كل فعل فردي يهدف إلى تعظيم المنفعة يمر أولا عبر هذه السيرورة البين ذاتية ( intersubjective).

مفهوم التعاطف إذا هو الآلية التي توفق بين الأنانية والمصلحة وبين الفضيلة. إذا كان مفهوم المنفعة يوجه منظومة سميث الاقتصادية، فإن التعاطف هو موجه النظام الأخلاقي في المجتمع. يعتقد سميث أن شخصية الإنسان معقدة ومركبة وفيها ما يوفق بين الجشع والمصلحة العامة. أي هناك دائما في طبيعة( فطرة) الإنسان ما يجعله يهتم بثراء الآخرين، و يجعل سعادتهم ضرورية لسعادته هو دون أن يكون هناك بالضرورة منفعة مادية من ذلك. أي أن أصحاب المصالح الشخصية يمكنهم العيش معا بسلام (

النطاق الأخلاقي) و على نحو مثمر( النطاق الاقتصـادي). يقول في هذا الصـدد : « مهما كان الإنسـان أنانيا، فهنالك دائما بعض المبادئ الأخلاقية في فطرته تدفعه إلى الاهتمام بثراء الآخرين و سعادتهم..»...

يساهم هذا المفهوم في تخفيف الطبيعة الشريرة للإنسان مع الجماعة.

3- السـوق: السـوق في فكر سـميث يتجاوز أن يكون مجرد مفهوم اقتصـادي، بل هو مفهوم سـوسـيولوجي بامتياز. وهو المفهوم المحوري الذي يعطي لنظريته الاقتصـادية و السياسية و فلسفته الليبرالية تجانسها الداخلي.

السـوق هو الفضـاء الذي يشـتغل فيه نظام التعاطف، حيث فيه يجد الجميع غرضـه. فيه يتم التصالح بين جشع الإنسان كم جهة و المصلحة العامة من جهة أخرى. فلأجل جمع الثروة، يجب على الفرد أن يبدع، يبتكر يتنافس و يقدم أفضـل متوج بأفضـل سعر.

استطاع سميث أن سؤسس لنظرية سياسية و اقتصادية انطلاقا من الفلسفة النفعية التي دشنها أستاذه دفيد هيوم.

السوق في نظر سميث، يسير نفسه بنفسه، ( ذاتي التنظيم) و يستجيب لأنثروبولوجية الإنسان.

**4- مفاهميم أخرى لادم سميث**

**بالإضافة إلى هذه المفاهيم الأساسية في نظريته الأخلاقية، يشتهر آدم سميث بمفاهيم أخرى طورها في كتابه بحث في ثروة الأمم و لعل أهمها**

- **اليد الخفية**
- **السوق ذاتي التنظيم**
- **المتعة**

## المحاضرة الرابعة

## الأنثروبولوجيا الاقتصادية لكارل بولاني

### 1- من هو كارل بولاني؟

هو عالم انثروبولوجيا و عالم اقتصاد نمساوي ، ولد سنة 1886 بهنغاريا و توفي في كندا سنة 1964.

يعتبر كتابه " التحول الكبير la grande transformation " من أهم مؤلفاته، حيث يدور حول فكرة أساسية مفادها أن فكرة " الإنسان الاقتصادي " و" فكرة السوق و المنافسة " ليست بمفاهيم كونية و لا طبيعية رغم أنها تقدم في الغالب كبديهيات ذات معنى واحد في كل زمان و مكان.

يعتبر بولاني في كتابه هذا أن هذه المفاهيم ناتجة عن أفكار خاطئة و يتوبية( مثالية) و ذلك لكونها ناتجة عن تحرر الاقتصاد و انفلاته من البنى الاجتماعية بسبب النظام الليبرالي. وهو مفهوم يعتبره بولاني يعبر عن استقلالية الاقتصادي عن كل القوانين الاجتماعية، الأخلاقية و الايتيقية، و حتى قوانين المجتمعات الإنسانية التقليدية.

في نقده للنظام الليبرالي القائم على توسع السوق، يدافع بولاني عن اقتصاد يقوم أساسا على التضامن بين البشر.

الكتاب الثاني لبولاني نشر بعد وفاته( سنة 1977) عنوانه (la subsistance de l(Homme وهو عبارة عن مساهمة في بناء تاريخ مقارن للاقتصاد، يضم مجموعة من أبحاثه حول مجتمعات ما قبل السوق.

في هذه الأبحاث المستوحات من أعمال علماء الأنثروبولوجيا و المؤرخين يدافع بولاني عن فكرة انه يجب أن يكون الاقتصاد ضامنا لكل فرد في المجتمع الشروط المادية و المعنوية لعيشه

ف المختصر كان بولاني من المدافعين عن شكل من الليبرالية الاجتماعية التحريرية و الاستقلالية، حيث يكون كل فرد متحرر من مصيره، و يؤيد المسؤولية الأخلاقية الناتجة عنها، و لكنه كان مدركا لعبئ الأدوار التي تنطوي عليها هذه الحرية.

**1- مفهوم الاقتصاد عند بولاني**

ينظر بولاني إلى الاقتصاد على أنه سيرورة مستمرة يتأسس من تفاعل الإنسان مع محيطه، و ينتهي دائما و بشكل مستمر إلى توفير الوسائل المادية لاشباع حاجياته.

يشير مصطلح " المسار" إلى حركات الإنتاج، التملك، و توزيع السلع المادية، و هي حركات تتدخل خلالها المكونات الإيكولوجية، التقنية و الاجتماعية.

و لكن التفاعل بين هذه المكونات ليس كافيا لتعريف بنية مجهزة بوظيفة و تاريخ، و من هنا يقول بولاني بالحاجة إلى استخدام مفردة أخرى هي: مسار مؤسس و مستمر ، وهو ما يعطي للاقتصاد وحدته و استقراره و تاريخه و القدرة على الاستمرار و إعادة انتاج نفسه.

أن ما يؤسس للمسار الاقتصادي حسب بولاني هو مجموعة من مبادئالاندماج، و التي لا هي بمتناقضة مع بعضها البعض، و لا هي تطورية. بإمكانها أن تتعايش و تترابط فيما بينها، و لكن كل بنية اقتصادية تعرف بالأسس التي تقوم عليها.

**2- مبادئ الاندماج الاقتصادي عند بولاني**

**يذكر بولاني ثلاث مبادئ أساسية هي:**

- **الندية في التعامل**
- **إعادة التوزيع**
- **تبادلات السوق**

# 3- الدولة، السوق و المجتمع عند كارل بولاني

الدولة الحديثة في نظر بولاني هي في الحقيقة امتداد للســوق . إن التحولات التي فرضــتها الرأسمالية بتحويل الجماعات الاجتماعية إلى مجتمعات هي التي فرضت الحاجة إلى الدولة كمؤسسات منظمة و ميكلة للعاقات في السوق

إن الســوق قـد خلق المجتمع المدني، و خلق كـذلـك الـدولـة، و يكاد يكون في المجتمعـات الحديثة مهيكلا لكل العلاقات الأخرى و مسيطر، و مخضعا حتى للدولة نفسها.

ينبع فكر بولاني من التحذير بمخاطر السوق ذاتي التنظيم، و يقول إن هذه الفكرة هي وهم و يجب وضع حدود لها.

في الواقع يعتبر بولاني من أكثر المفكرين الذين بينوا بشــكل جيد التمفصــل بين الدولة و المجتمع . يقول : « نجد مفتاح فهم النظام المؤسساتي للقرن التاسع عشر في قوانين السوق ...»

أي أن بولاني يجعل من السـوق مفسـر لكل الظواهر الاجتماعية و السـياسـية للمجتمعات الرأســمالية الحديثة. في الواقع، و كما أشــرنا إليه ســابقا، يعتبر أن التحول الأعظم الذي حدث في التاريخ هو ذلك الذي أدى إلى انفلات الاقتصادي من الاجتماعي و تحرره منه.

ينظر بولاني إلى المجتمع الحديث على أنه مجتمع خاضـع كليا لعلاقات وقوانين السـوق، أي أن الاقتصادي أصبغ بمنطقه كل العلاقات الاجتماعية.

و مع ذلك، فمن المهم الإشارة إلى أن بولاني في أعماله ميزبين السوق المسيرة إداريا من طرف الدولة و بين السوق ذاتي التنظيم

بين بولاني في أعماله من خلال الدراسـات التاريخية حول الحضارة الأشورية و الفرعونية و مقارنتها بالمجتمعات الأوروبية الحديثة. وتوصل إلى نتيجة مفادها وجود السوق قبل الدولة

الحديثة و منذ الحضارات القديمة، و لكن السوق ذاتي التنظيم هو ظاهرة حديثة رأسمالية.

أحدث السوق ذاتي التنظيم قطيعة راديكالية وتحول شامل بين المجتمع التقليدي و المجتمعات الحديثة. الاقتصاد في كلا المجتمعين ( الحديث و القديم) لا يحمل نفس الأهمية ولا يؤدي نفس الوظيفة.

ففي المجتمعات القديمة، يقول بولاني أن الاقتصاد الانساني معولب داخل هيئات و مؤسسات اقتصادية و غير اقتصادية، و لكن الجزء الأكبر معولب داخل مؤسسات و هيئات لا اقتصادية، وهو ما يجعل النشاط الاقتصادي في هذه المجتمعات يحوي أبعادا غير اقتصادية و غير ربحية.

فمثلا بإمكان الدين و الحكومة أن تكون أيضا احد الرساميل المفيدة لاشتغال الاقتصاد بنفس القدر الذي تفيد المؤسسات المالية و الالات اشتغال الاقتصاد في المجتمعات الحديثة.

## 4- السوق ذاتي التنظيم ليس تطورا طبيعيا

احدى أهم الأفكار الأساسية لدى بولاني هي تأكيده على أن السوق ذاتي التنظيم لم ينشأ من تطور طبيعي و لا عن تمدد كمي للسوق المسيرة.

إن الانتقال من السوق المنظمة إلى السوق الحرة( ذاتية التنظيم) قد حدث في أوروبا بتدخل عوامل محفزة اصطناعية، تم تطبيقها على الجسم الاجتماعي من أجل الاستجابة لوضعية جديدة خلقتها ظاهرة مصطنعة( الآلة).

التحول الأهم الذي حدث في المجتمعات الإنسانية منذ نشأة الرأسمالية هو الانتقال من سوق مسيرة من طرف عوامل خارجية عنها( سياسية، اجتماعية، ثقافية...) إلى سوق ذاتي التنظيم، قامت ديناميته الطردية بسحق الإنسان و الثقافة و كل المعايير الأخلاقية.

يقول بولاني إن عملية التحول لن تتوقف عند نقطة معينة، بل سوف تبقى مشتغلة كلما تمت عملية امتصاص لعناصر تنتمي إلى المجتمع أو الطبيعة من طرف المنطق المدمر للسوق الذي يرتكز على العرض و الطلب و التي ما فتأت تتسوع نحو مجالات أخرى و على حساب النظام الاجتماعي للجماعات القروية و أنماط أخرى من الإنتاج و الاستهلاك العائلي.